المنهج الاجتماعي

هو دراسة العمل الأدبي على أساس أنه جزء من النظام الاجتماعي ، فيبين كيف ولد هذا العمل ، و ما علاقته بالأنظمة الأخرى ، و ما الأشياء التي يرمي إليها.

و يقول جورج لوكاتش " : إنه منهج بسيط جدا ، يتكون أولا و قبل أيّ شيء من دراسة الأسس الاجتماعية الواقعية بعناية

ويقول باحث آخر " : إن الأدب يصور لنا الحياة الاجتماعية في الفترة التاريخية التي كتب فيها ، و يعطينا صورة واضحة عن وقائع اجتماعية محددة

أسباب الظهور

يؤكد كثير من الباحثين أن الغالبية العظمى من المناهج الأدبية توالدت تباعا، إما كردود فعل على بعضها بعضا، أو امتدادا لها، و المتتبع للمنهج الاجتماعي يوقن تماما أن هذا المنهج جاء امتدادا للمنهج التاريخي، و رفضا لما فيه من جمود ، ورفض لكل أشكال الإقطاعية و البرجوازية و التحرر من تمجيد البطولات و الاستماع لقصائد الأحلام و الأوهام فظهرت دعوة " الفن للمجتمع ،و قد غذّى هذه الحركة ظهور الشيوعية بعد الثورة الروسية التي قامت عام 1917 ، و مناداتها أن الفرد في خدمة الجماعة .

و يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الفن ككل شيء في الحياة، يجب أن يوجّه لما فيه خير الناس و المجتمع ، و الفنان لا ينتج لنفسه فقط ، بل لغيره أيضا ، فينبغي أن يحس إحساسات الجماعة ، و يعبر عن مشاعرها ، و ذلك يمنح تجربته العمق ،و الأصالة ،و هذا الفن الموجه يستطيع تحريك الشعوب ، و دفعها في سبيل التطور و الرقي. والكثيرون يرون مناظر البؤس أمامهم، فيمرون عليها دون أن يلتفتوا إليها، ولكن الوعي بها هو الذي يحركهم، و أصحاب المنهج الاجتماعي يصرون على أن أسمى العواطف ما كان تهذيبا، فإذا أثار عواطف شاذة أو وضيعة كان منافيا لقانون الحياة التي تسعى للرقي.

ركائز المنهج الاجتماعي

هذا المنهج النقدي يربط الإبداع و المبدع نفسه بالحياة، ولا ينفصل الحديث عن جهود النقاد الرواد الذين قدّموا المنهج التاريخي أمثال " سانت بيف" و هيبوليت تين " و " فردينان برونتير " و " غوستاف لانسون ‘‘ عن المنهج الاجتماعي، فكلهم ربطوا بين الإبداع الأدبي والمجتمع بصورة ما، غير أن أصحاب المنهج الاجتماعي ذهبوا بعيدا في ربط الإبداع و المبدع نفسه بالحياة الاجتماعية.

و النقد يصبح بلا جدوى إذا اقتصر على تحليل النصوص ، و فك شفراتها ، و الأولى نقد العمل الأدبي على أساس أنه جزء من النظام الاجتماعي ، فيبين كيف ولد هذا العمل ، وكيف كانت علاقاته، وعن توازن عناصرها المؤكد أن الأدب لا يخلق في فراغ قط و نستطيع أن نستخلص العناصر الأساسية التالية التي يهتم بها، ويحرص عليها أصحاب الاتجاه الاجتماعي لبيان علاقة الأدب والمجتمع

1.التركيز على الجوانب الاجتماعية في حياة الأديب، كوضعه الاجتماعي، و مكانته في المجتمع، و مدى تأثيره في المجتمع، ومدى تأثره في هذا المجتمع.وتعد هذه المحاور أسسا ثابتة لدى نقاد هذا الاتجاه.

2.تعد قضية الجمهور من القضايا المهمة لدى أنصار هذا المنهج ، فهو الذي يتلقى العمل الأدبي، ولا بد من الوقوف على مدى التأثير الاجتماعي للأدب في الجمهور المتلقي ، وهو تأثير مهم جدا دون شك من خلال ملاحظة استقبال القرّاء للعمل الأدبي و بيان أهميته ، مع ملاحظة أن علاقة العمل بالجمهور تختلف من بلد لآخر ، و من فئة لأخرى ، ومن وقت لآخر

3.تعد مشكلة المحتوى الاجتماعي، و الغايات، و الأهداف، و المضامين الاجتماعية التي تسعى الأعمال الأدبية لتحقيقها من القضايا الأساسية التي عالجها النقاد الاجتماعيون في أعمالهم النقدية ، وهنا ظهرت قضية الالتزام ، و تعني : أن الأديب مسؤول أمام الناس و لا بد أن يقوم بدوره الإيجابي في الحياة

4.التركيز على أثر الاقتصاد في الإنتاج الأدبي، و وظيفته في المجتمع، و اعتباره من الأسس الواجب بيانها و بيان كل ما يتعلق بها ، كالوضع الاقتصادي للأديب، و النظر فيما يسمى الوظيفة الثانية ، والأثر الاقتصادي للطبقات الاجتماعية على الأدب ، وهذا ما يقودنا للحديث عن ماركس و فلسفاته الاقتصادية التي لا يتسع المجال للحديث عنها

5.طرح نقاد المنهج الاجتماعي قضية مهمة تتمثل بعلاقة الأدب بالمجتمع من زاوية مهمة تتعلق بتأثير التطورات الاجتماعية ، و التغيرات التي تطرأ على المجتمعات في الإنتاج الأدبي ، من حيث أشكاله ، و أنواعه ، ومضامينه وغاياته ،على اعتبار أن التغيرات الاجتماعية ، و النمو الاجتماعي يؤثران تأثيرا بالغا في النص الأدبي ، حسب وجهة نظر أنصار المنهج الاجتماعي.

و هذا ما دفع نقاد المنهج الاجتماعي إلى إقامة علاقات وثيقة ، و روابط متينة بين الحياة الاجتماعية ، والنظم الاقتصادية السائدة كالنظام الاشتراكي، و الإقطاعي، و الرأسمالي...، و بالتالي ظهور أجناس أدبية مثل روايات المغامرات ، والملهاة المأساوية،...

6.تتدخل عوامل خارجية اجتماعية مهمة في النقد الاجتماعي تتمثل في قضية دراسة أثر الرعاية في الإبداع الفني ، و هذه الرعاية غالبا ما تكون من الدولة ، أو من الجمهور المتلقي و القرّاء من خلال المنتديات ، والمجلات، و الاتحادات ، ودور النشر ، و الجامعات ، مع التركيز على أهمية طبيعة الدولة و النظام السائد فيها، لتناسبه العكسي مع حرية الأدب ، وازدهاره ، أو حتى تراجعه في ظل وجود نظام ديموقراطي منفتح، أو دكتاتوري متسلط وعن مفهوم الرعاية يقول الناقد سكاربيه : " أن يتكفل شخص أو مؤسسة بحماية المؤلف و رعايته ، و مقابل ذلك يقدم المؤلف لهذا الشخص أو المؤسسة مقابلا ثقافيا لقاء ذلك يتمثل في إنتاجه الأدبي " .و هنا يظهر أثر مطالب الدولة ، والسلطة الدينية (الكنيسة) ، و الأحزاب السياسية ، والنظام الاقتصادي و التغيرات التقنية ، والرقابة

أشهر روّاد المنهج الاجتماعي في الغرب

هناك عدد كبير من الأسماء الكبيرة التي يعدّ أصحابها من رواد المنهج الاجتماعي و رواد التطورات التي أصابته و منهم :

مدام " دي ستايل " و كتابها " الأدب و علاقته بالأنظمة الاجتماعية " الذي يعد من حجارة الأساس التي وضعت في بداية تشكيل المنهج الاجتماعي ، و أرنولد هوارز في كتابه " التاريخ الاجتماعي للأدب " ، و جورج لوكاتش ، و ريموند وليامز ، و كارل ماركس ، و اسكاربيه ، لوسيلن جولدمان ، روبير ، مكسيم غوركي ، تولستوي ،ليون تروتسكي، ...

أشهر روّاد المنهج الاجتماعي في الشرق

أما في الأدب العربي فقد تأثر كثير من النقاد العرب، والأدباء على حد سواء بهذا المنهج و لعل أبرز النقاد العرب الذين تأثروا به على سبيل المثال لا الحصر: محمد مندور ، و حسين مروة ، و عمر فاخوري صاحب مدرسة التحرر الفكري ، ويوسف إدريس ، ونجيب محفوظ ، ويحيي حقّي ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمود أمين العالم ، ... و أسماء أكثر من أن تحصى.